Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من ثقافات عقول جامدة، لا تنتج فكرا حيا. ولعل الفرق واضح وضوح الشمس بين مفكر يستوعب خلاصة التجارب الإنسانية بعقلية تملك من الخبرة والتجارب مايعينها على هضم كل وافد، وبين من يتلقى ثقافات الشعوب مبهورا بها متمردا على ثقافته. فالأول يشبه النحلة التى تمتص الرحيق، لتخرجه للناس عسلا مصفى، والثانى لا يجاوز حد الببغاء، الذى يردد كل ما يسمع؛ لأن عقله فى أذنيه. ولا يكاد يتصور عاقل أن رواد الفكر العربى الذين صنعهم البيان المعجز كانوا ببغاوات أو تابعين لغيرهم، وخاصة فى فن الخطابة.

٢ - الأمر الثانى الذى يستوقفنا فى العلاقات النفسية بين المتكلم والسامع -عند أرسطو- أنه يضفى على العلاقة بين الطرفين طابع المرافعات القضائية بالشكل المألوف له فى دور المحاكم اليونانية حينذاك. فيبدو الخطيب - عنده - فى صورة المدافع أو المحامى الذى يسعى بكل طاقاته إلى غرو نفسية القاضى، لإثارة انفعالاته، وتحريك عواطفه؛ ولهذا يركز أرسطو فى حديثه عن أهمية الخطيب، ومدى مهارته على هذا الجانب، وربما أطال فى ذكر التفاصيل الدقيقة والجزئيات المتعددة، التى يستعين بها المتكلم أو الخطيب على إنجاز مهمته حتى ليخيل إلينا ونحن نتابع هذه التفاصيل أن ذهنية المتلقى تكاد تكون ملغاة أمام وسائل الخطيب ومقدرته فى السيطرة على المشاعر. وهنا يُقفنا أرسطو على صورة واحدة من صور التلقى للنص الخطابى، وهى صورة المستمع الذى تخضع قناعته الفعلية والفكرية والخلقية لعواطفه المثارة. ففى فلسفة أرسطو يبدو الجانب الخلقى لدى الخطيب عنصرا هاما - كما عرفنا - بصرف النظر عن خلق المتلقى ومدى أهميته فى عملية الاستقبال، فهو لم يركز على هذا الجانب؛ لأن الصورة التى كان يصدر عنها، وينزع إليها فى حديثه عن الطرف الثانى من طرفى التلقى هى صورة القضاة فى المحاكم الإغريقية. أما صورة المتلقى الذى يجعل مشاعره وعواطفه خاضعة لقيمه الخلقية، أو المتلقى الذى يغالب مشاعره الخاصة تجاه المتكلم حتى لا تحدعه فى إطار الحكم، أو المتلقى الذى يجعل ثقته فيما يقول الخطيب مبنية على معلومات سابقة، فتلك صور كادت تختفى فى فلسفة التلقى للنص الخطابى عند - أرسطو - بينما ظهرت واضحة عند رواد الفكر العربى. وهذا أمر طبيعى، فرضه التمايز بين واقع أمة صنعها البيان المعجز فكرا ولسانا، فكان غرامها الأول، وواقع أمة تعاملت مع فنون البيان بفكر فلسفى، يغلب عليه أن يكون فكرا مجردا.